05-المحاضرة الخامسة: التنقيب – هيئة التنقيب

تعتمد عملية التنقيب الأثري على أصول وقواعد علمية لا يمكن تجاوزها، حيث من خلالها تتحقق الأهداف العلمية المرجوة من الحفريات الأثرية، حيث إن دراسة تلك المواد الأثرية وتحليلها يعتمد على موقعها الدقيق في السياق الأثري، وسرقة المواقع الأثرية تتم يوميا في جميع إرجاء العالم، مثل الهند واليابان وفرنسا واليونان وإيطاليا وتركيا والصين وسوريا ومصر وغيرها من البلدان والدول، وتعتبر المواقع الأثرية هي الأكثر تعرضا للسرقة في أوقات الحروب والاضطرابات كما حدث في بلاد العراق وفلسطين[82].

-مفهوم التنقيب:

يقصد به جميع أعمال البحث والمسح والحفر والسير والتحري، بهدف العثور على آثار في باطن الأرض، أو على سطحها، أو في مجاري المياه، أو البحيرات، أو المياه الإقليمية[83].

إذا كان التنقيب هو الوسيلة الأساسية لعلماء الآثار في معرفة أخبار الماضي وفك طلاسمه، فإنّ عملية تسجيل مراحل التنقيب تسجيلاً علمياً دقيقاً هي الأهم في جوهر عملية التنقيب ذاتها، فالتنقيب يشمل جمع وفحص ودراسة كل ما خلفه الإنسان، وقراءة هذه المخلفات قراءة صحيحة تتيح لنا تفسيرها تفسيراً علمياً دقيقاً في محاولة للإجابة على التساؤلات التي يضعها المنقب كهدف لعملية التنقيب، وذلك في ضوء ما تسفر عنه عملية التنقيب.

-الشروط الواجب توفرها في المنقب:

يجب أنّ تتوفر بعض الشروط في عالم الآثار الذي يريد القيام بعملية التنقيب، كما يجب عليه أن يتحلى ببعض الصفات حتى يكون عمله علمي أكاديمي بعيداً عن جميع الأهواء والتوجهات والعقائد، التي قد تواجهه في الحقل الأثري أثناء القيام بعمله، ونذكر من بينها:

-معرفة العصور التاريخية المتعاقبة والمختلفة، لأنّ طبيعة عمل المنقب تطلب منه أن يغور في أعماق الطبقات في مواقع مختلفة سواء من العصور التاريخية، أو من عصور ما قبل التاريخ، أو ما قبل

---

[82]- إمبدا (أبو الهيجاء إكرام وهبي)، عوامل تهديد المواقع الأثرية في الضفة الغربية (الجدار العازل دراسة تحليلية)، قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في التخطيط الحضري والإقليمي بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2008،ص44.

[83]- قانون حماية الآثار، أحكام تمهيدية، الفصل الأول، سنة 1999/11/27، ص03.

معرفة الكتابة، ومن هنا فإنّ عليه مسئولية كبيرة في كتابة تاريخ الحضارة الإنسانية في حياد تام، يعتمد فيها على المنهج العلمي.

-الموضوعية ودقة الملاحظة، لأن أهمية عملية التنقيب تبرز في تفسيرها الصحيح من خلال تجرد الأثري من هواه ونزعته القومية أو تعصبه لحضارة دون سواها، بل يتعدى الأمر إلى ضرورة تيقنه من صحة كل ما وصله من وثائق، حتى وإن كانت تحمل نقشاً أو كتابة وليس أدل على غير محاولات الملك رمسيس الثاني في كتابة اسمه على المعابد والتماثيل لينسبها لنفسه، وتلك المحاولات التي قام بها تحتمس الثالث لطمس اسم حتشبسوت من على جدران المعابد، وهذا يتطلب دراية ودقة ملاحظة للتحقق من صحة الوثيقة التي توصل غليها المنقب.

-الخبرة الكافية لأنه في واقع الأمر أنّه كلما ازدادت خبرة المنقب كلما كانت تفسيراته أكثر دقة، ولكن الخبرة ليست العامل الوحيد المطلوب في المنقب بل لابد أن يكون دقيق الملاحظة سريع البديهة له عقلية تحليلية استنباطية منطقي التفكير واسع الثقافة والمدارك ملم باللغات إذا وضعنا في الاعتبار أنه يتعامل مع آثار عمرها الزمني قد يتجاوز آلاف السنوات فهو بمثابة الطبيب الذي يتعامل مع كهل أصابته أمراض الشيخوخة، أو مع مسن يمكن أن يكون مريضاً أو يكون سليماً، وهو ما يعتبر غيبا بالنسبة له لذا فلزاماً عليه أن يتسلح بالحذر والحيطة والعلم ليتابع كل ما يظهر بين الرديم وخلال الطبقات المختلفة ويسجله تسجيلاً دقيقاً.

-هيئة التنقيب:

لكي تكون عمليات التنقيب ذات جدوى ونفع، بالإضافة إلى تقديم الجديد في الحقل العلمي والتاريخي وتقديم المعلومات حول الحقب التاريخية الزمنية المتعاقبة، فإنها تتوقف على فريق التنقيب ومدى تنوعه في الحقل الأثري.

1-رئيس البعثة:

يبدأ عمل رئيس البعثة قبل بدء الحفائر، وواقع الأمر إنّ مهمة رئيس البعثة تبدأ من مرحلة الإعداد وتنهي بالنشر العلمي لنتائجه، بل ومتابعة الدراسات التالية له. وهو الشخص الوحيد الذي تقع عليه مسؤولية الفشل أو ينسب إليه النجاح، فهو غالبا الذي يقترح موقع الحفائر ويعد للعملية علميا، ثم يقوم بانتقاء أعضاء البعثة ويناقش معهم الهدف من الحفائر، وهو بلا شك لابد من أنّ تتوفر فيه كافة السمات الشخصية للمنقب الأمثل، والتي تحدثت عنها سابقا. ويجب على رئيس البعثة التواجد المستمر في الموقع ومتابعة أعمال التنقيب وتسجيلها بدقة، وإن كان هناك من أعضاء فريقه من يقوم بها فلابد أن يتأكد دائما من سلامة هذه العملية ويصحح الأخطاء أولاً بأول، وعليه متابعة أعمال كافة معاونيه من رسامين

ومصورين ومساحين، بل ويتأكد من العينات التي تجمع من الموقع من اللقى الأثرية المختلفة وأهميتها التاريخية والتأريخية للطبقات. ولعل أهم المسؤوليات التي تقع على عاتقه هي اختيار معاونيه الذين يتوسم فيهم عناصر إنجاح العمل الأثري، ويتسمون بصفات شخصية تؤهلهم ليكونوا مكملين لعمله.

كما إنّ مهمة اختيار العمال المهرة والحفارون تقع على عاتقه أيضاً، ومن هنا يجب أن تكون لديه الفراسة في اختيار العمال، إلا إنه يجب أن يتخير الأمين منهم وهو الأمر الذي يحتاج إلى فراسة. كما يجب أن تكون له شخصية قيادية تجمع بين الحزم والمرونة يعرف كيف يدير العمل بدون مشاكل[84].

يجب أن يتوافر فيه بعض الصفات مثل:

- الخبرة السابقة بأعمال الحفائر.
- لابد وأن يكون عالماً متخصصاً في العصر الذي يتوقع أن تنتمي إليه أغلب مكتشفات الموقع المراد تنقيبه.
- صفة القائد الحازم بدون جفاء خاصة مع العمال بحيث يدير العمل بدون مشاكل.
- لا يمارس عمله بالمكتب بل من الموقع
- اليقظة والأمانة في التعامل مع الموقع[85].

2- نائب رئيس البعثة:

إنّ نائب رئيس البعثة يضطلع بالمهام الإدارية من تحديد فئات الأجور ويوميات العمال وتكاليف الإعاشة وكل ما يتعلق بإقامة أفراد البعثة، كما إنّ من مهامه أيضاً الإشراف على المعامل والمسكن أو المخيم الخاص بأعضاء البعثة وصيانة وإعداد الآلات والأدوات والأجهزة والتأكد من صلاحيتها حتى لا يتعطل العمل. كما إنه ولابد من أن يجهز أدوية إسعاف أولية للكسور والحروق والجروح، ويحدد أقرب مستشفى تحسبا للطوارئ، كما يجب أن يجهز سيارة ممونة بالموقع، كما يجب عليه أن يقوم بتوفير جهاز اتصال لتسهيل عملية الاتصال بأقرب مستشفى متى توافرت هذه الخدمة[86].

---

[84]- الشوكي أحمد، المرجع السابق، ص49.

[85]- الشوكي أحمد، المرجع السابق، ص48.

[86]- الشوكي أحمد، المرجع السابق، ص50.

3- الأثريون المتخصصون:

يفضل أن تضم البعثات الأثرية الكبيرة أساتذة متخصصون في مجالات علم الآثار المختلفة، كأن يكون بينهم عالم اللغات القديمة والمتخصص في النحت وآخر في العمارة وهكذا في باقي التخصصات، وإن لم يتيسر يفضل أن تضم فريقا من التخصصات العامة بحيث يكون بينهم متخصصا في علم الآثار الكلاسيكية وآخر في علم الآثار الإسلامية وهذا في حالة ما إذا كان الموقع متعدد العصور والطبقات.

4- الأثريون المساعدون:

يقوم هؤلاء المساعدون بمتابعة أعمال التنقيب بتفصيلاتها الدقيقة وحركة كل معول، بحيث يخصص مساعد لكل مجلس يجري الحفر فيه تكون مهمته الأساسية تسجيل كل صغيرة وكبيرة في الموقع ومتابعة التغير في لون الطبقات، وجمع العينات الخاصة بكل طبقة في دلو خاص يدون عليه الطبقة ورقم المربع والتاريخ وكافة البيانات اللازمة للتسجيل مع عمل الرسومات والأشكال التوضيحية في دفتر اليوميات، ورسم قطاعات الطبقات في المجلس من جوانبه الأربعة، كما تسند إليه مسؤولية العمال المشاركون في أعمال الحفر دون تغيير في المجموعات كلما أمكن ليتآلف معهم ويتفهم قدرات كل منهم، فيستطيع أن يتخير العمل الذي يناسب قدرات كل فرد في مجموعته.

يستحسن أن يقوم بهذا العمل شخص مدرب تدريبا جيدا ويرافقه آخر ليعده ويكسبه الخبرة، فيكون هناك صف ثان لمتابعة العمل باستمرار ويفضل أن يكون من الطلاب الدارسين للآثار ليعد إعدادا سليما ويحمل المشعل فيما بعد. المهمة الثانية للأثريين المساعدين هي التسجيل الأثري في سجل الحفائر وإعداد الكروت الخاصة بكل قطعة وإرسال ما يحتاج منها للعمل للترميم، ويقوم بكتابة رقم التسجيل على القطعة الأثرية بحبر خاص بنفس الرقم الذي سجلت فيه في السجل وغالبا ما يكون العمل هنا كثيرا فيجب توفير معاونين للمسجل تكون مهمتهم فرز وتصنيف الفخار الناتج من الموقع وغسل ما يمكن أن يغسل منه.

5- الرسامون:

يجب أن تضم البعثة أكثر من رسام، لأن عملية التسجيل والنشر تقوم على الرسومات بكافة أحجامها بدرجة كبيرة، ويفضل أن يكون من بين خريجي الفنون الجميلة ودارسي تاريخ الفن، لأنهم يتمتعون بالحس المرهف والرؤية الفنية التي تمكنه من عرض الأثر بأنسب جانب له بما يعين على النشر العلمي الجذاب، ولما كان من المتوقع غالبا ظهور نقوش وكتابات ونحت غائر أو بارز أو رسومات على الفخار والجدران لذا فإنّ وجود الرسامين من ضروريات إنجاح العمل في الحقل الأثري. وبالتالي فإنّ دور الرسام يكون نسخ الرسومات المصورة على الفخار، أو، العملة، أو الجدران ونسخ النقوش

والمنحوتات بمقياس رسم مناسب حسب حجم كل قطعة. ويجب أن يراعي الإخراج الفني لكل لوحة من حيث الرسم والإطار الخارجي والكتابة والبيانات المدونة عليها[87].

6- المصور:

نظرا لأهمية الكاميرا في التسجيل الأثري إذ تعتبر الذاكرة الحية لكافة مراحل العمل، فإنّ وجود المصور ضمن أعضاء البعثة الأثرية أمر حتمي وضروري، ويفضل المصور المحترف الذي يستطيع دراسة الضوء في الموقع لاختيار التوقيت المناسب للتصوير في ضوء التوجيهات التي يصدرها رئيس البعثة بشأن الموضوعات المراد تصويرها، وجب على المصور أن يكون ملما بتاريخ الفن ويفضل أيضا خريجي الفنون الجميلة إن تيسر ذلك ويحسن أن يكون على دراية بالتقنيات الحديثة والتصوير بكاميرات الفيديو والكاميرات الفوتوغرافية الرقمية وكاميرات التصوير على الأقراص الصلبة، ويحسن أن تكون له دراية بالحاسب الآلي وتحويل الصور من الفيديو إلى الحاسب وتثبيتها للاستفادة منها عند الضرورة[88].

7- المساح المعماري:

مهمته الأساسية أعمال المسح الكنتوري والمعماري وتخطيط موقع الحفر وتحديد الاتجاهات الأصلية واستخدام متميز للأجهزة المساحية في تحديد المستويات، وتحديد مستوى سطح البحر وارتفاع النقطة المحددة التي تستخدم في تحديد أعماق اللقى الأثرية ومواضع العثور عليها. كما إن من مهامه أيضا إعداد الرسومات المعمارية لتسجيل المباني المكتشفة، وعمل قطاعات لها وفي نفس الوقت يقوم برسم قطاعات الطبقات، وتحيد مقاساتها وارتفاعاتها، ومنسوبها للمساهمة في دقة المقاسات لتكون الدراسات الأثرية أكثر دقة[89].

وعلى العموم فإن المساح يقوم بتحضير خطة التنقيب للموقع على خريطة كنتورية، ورسم مخططات لمخلفات المباني على مقياس رسم صغير أو كبير، ولكن يجب أن يكون هذا الرسم واضح ودقيق للغاية وذلك عن طريق ضبط الرسم حسب المقياس المقرر، كما يقصد به ضبط تعاقب الطبقات[90].

87- الشوكي أحمد، المرجع السابق، ص ص25،53.

88- الشوكي أحمد، المرجع السابق، ص 54.

89- الشوكي أحمد، المرجع السابق، ص54.

90- الدباغ تقي، التنقيبات، ص100.

8- المرممون: (الصورة رقم: 06)

يجب أن تجهز البعثة بمعمل صغير أو تخصص حجرة أو خيمة كمعمل للترميم السريع، خاصة إذا ظهرت لقى أثرية تحتاج للترميم السريع قبل أن تتفتت، كما يفضل أن يزود المعمل بجهاز تنظيف العملة لأهميتها القصوى في التاريخ، والمرمم له دور آخر أكثر أهمية أثناء استخراج أثر من الموقع إذ إن درايته بالمواد وطبيعتها وحالة الأثر وما يحتاجه من حرارة أو رطوبة أو غيرها من الظروف المناسبة ليتكيف مع البيئة الجديدة، كل هذه الأمور تجعل من وجود مرمم في الموقع الأثري أمر حيوي وضروري. يعرف هؤلاء هم المرممون بمرممي الآثار الدقيقة[91].

هناك نوع آخر من المرممين مطلوب وجودهم في الموقع وهم المرممون المعماريون، وهم غالبا ما يكونون من خريجي كلية الهندسة أو الفنون تخصص عمارة، تكون مهمتهم الأولى في الموقع إجراء أعمال الترميم المعماري السريع والحماية وتدعيم المباني أو الجدران المتهالكة، كما يعهد إليهم بعمل الدراسات الإستاتيكية اللازمة عند نقل تمثال ضخم أو رفعه أو مجرد تنصيبه في الموقع لتحديد قوة الرفع اللازمة.

الصورة رقم06: عمليات الترميم المختلفة داخل الموقع. عن: الشوكي أحمد، المرجع السابق، ص53.

9- رئيس العمال:

غالبا ما يكون رئيس العمال من العمال الفنيين الذين اكتسبوا خبرة طويلة من المشاركة في البعثات والحفائر الأثرية، حيث يمكنه تنظيم أوقات العمل ومواقيت الراحة واستئناف العمل وتوجيه العمال وقيادتهم، ويظهر دوره الفعال عند الكشف عن الآثار ويبدي مهارته خاصة إذا كان الأثر المكتشف ضعيفا ويحتاج معاملة خاصة لاستخراجه سليماً دون أي تلف[92].

---

[91]- الشوكي أحمد، المرجع السابق، ص53.

[92]- الشوكي أحمد، المرجع السابق، ص55.

إنّ الواجب الرئيسي لرئيس العمال هو التحكم التام والقدرة على إدارة العمال والسيطرة عليهم بثبات وحزم، فهو الذي يعطي إشارة انطلاق التنقيبات في الصباح وبعد فترة الاستراحة في المساء، كما يجب على رئيس العمال أن يعرف فريق عمله واحدا واحداً فهو المسؤول الأول عليهم، كما له مسؤولية اختيار أكثر العمال قدرة على الحفر الأثري[93].

10- العمال: (الصورة رقم: 07)

يعتبر العامل المتمرس هو المحرك في عجلة التنقيب الأثري، إذ أنه يقوم باستخدام المعول وينقل الرديم وينظف الأثر في الموقع، كما أنه ينظف مكان الإقامة ويشتري الطعام، بل يكون منهم الطباخون أحيانا إذا لم يكن هناك طباخاً خاصاً.

هناك فئتان من العمال تحتاجهما الحفائر الأثرية، الأول منهما العامل الفني المدرب تدريبا جيدا وهو ذلك الذي تسند إليه الأعمال الدقيقة في عملية التنقيب، أما النوع الثاني فهو العامل العادي الذي يؤدي عمليات رفع الرديم وأعمال النظافة في الموقع ومعسكر البعثة ويقوم بأداء الخدمات المعاونة من شراء مستلزمات البعثة الأثرية. يفضل أن يكون عدد العمال يتناسب مع مساحة الموقع وألا يكون الموقع مزدحما، أما إذا كان مكان إلقاء الرديم بعيدا نسبيا عن موقع الحفر فيجب زيادة عدد العمال[94].

الصورة رقم07: عملية التنظيف لسطح الموقع يقوم بها العمال. أنظر: الشوكي أحمد، المرجع السابق، ص56.

[93]- الدباغ تقي، التنقيبات، ص ص101،102.

[94]- الشوكي أحمد، المرجع السابق، ص55.

11- الطبيب:

تحتاج البعثات التي تعمل في مواقع نائية بالصحراء، والتي تبعد أكثر من ساعتين بالسيارة عن أقرب مستشفى، أو مدينة إلى طبيب مقيم لمعالجة الحوادث الطارئة والأمراض المفاجئة للعمال، أو أعضاء البعثة على أن يكون مجهزا بحقيبة أدوية تساعده على إجراء الإسعافات السريعة وتخطي مراحل الخطورة لحين نقلها للمستشفى دون خطورة إذا استلزم الأمر. وإذا تعذر وجود طبيب فلا بأس من وجود مسعف متدرب يكون على دراية بإجراءات الإسعافات الأولية في حالة حدوث الإصابة[95].

12- مشغل الحاسب الآلي:

شهدت الآونة الأخيرة تطوراً كبيراً وسريعا في استخدام الحاسب الآلي بمجموعة برامج مختلفة تصلح لكافة أغراض الحفائر، لذا أصبح من الضروري وجود مهندس كمبيوتر متخصص بالموقع من الأمور التي تضمن دقة ونجاح العمل أثناء التنقيبات الأثرية، فكل الأعمال المنوط بها للأفراد من توثيق وتسجيل وفهرسة ورسم معماري وأثري وتخزين المعلومات، أصبح من اليسير الآن حفظها واستعادتها متى أردنا على جهاز حاسب آلي وإن كان يفضل أن يتدرب الأثريون على الحاسب الآلي، وإن تعذر فيجب أن يكون هناك مهندس متخصص في الإعلام الآلي.

يعتبر هذا التشكيل الأمثل لبعثة التنقيبات الأثرية التي تعمل في مناطق بعيدة عن التجمعات السكانية والعمرانية، لكن ليس بالضرورة أن تتضمن كل البعثات هذا التشكيل خاصة إذا كانت هناك حفائر محدودة المدّة أو محصورة في مكان ضيق وقريب من التجمعات السكانية أو في وسطها، فهنا قد يكون أعضاء البعثة يتكونون من اثنان من الأثريين ورئيس العمال ومجموعة العمال، وبالتالي فإنّه لا داعي لبقية العناصر التي ذكرناها سابقاً.

[95]- الشوكي أحمد، المرجع السابق، ص57.